ISSN NO: 2770-8608
Date of Publication: 20-02-2023

Fear in modern Iraqi Poetry (The poet Abd al-Razzaq Abd al-Wahed as a model)

Dr. Fadel Ibrahim Muhammad Suleiman Al-Hamdani
General Directorate of Education of Kirkuk - Institute of Fine Arts
fadhelalhamadany@gmail.com

Abstract:

The literary phenomenon is the subject of a study when it organizes the literary production: poetry or artistic prose and requires extrapolation and research. This phenomenon, whose circle has widened in Iraqi poetry in general, and in the poetry of the poet Abd al-Razzaq Abd al-Wahed in particular, whose poetry spanned two centuries. His poetry was the witness of a literary era that extended to broad poetic generations. This is the first reason for the selection. The second reason: the quality of his poetry and the abundance of his poetic production. The third reason: it is that this phenomenon percolates in his poetry and contained in his poetic collections from the beginnings and remained present and was a source of form and content for many of his poems. This study tried to shed light on fear linguistically and idiomatically, and it was procedural based on dividing it into the types of fear that the study extrapolated, so it was: political fear first, fear of death second, then fear of gray hair and old age third, and fear of love and its disappointments fourth, accompanied by poetic texts that represented these four types.

Keywords: Fear, Poetry, Iraq, The poet, Abdul Razzaq.

الخوف في الشعر العراقي الحديث (الشاعر عبد الرزاق عبد الواحد إنموذجاً)

د. فاضل ابراهيم محمد سليمان الحمداني
المديرية العامة لتربية كركوك - معهد الفنون الجميلة

ملخّص البحث:

الظاهرة الأدبيةُ موضوعُ دراسةٍ عندما تنتظمُ النتاج الأدبي: شعراً أم نثراً فنياً وتستلزمُ الاستقراء والبحث وهذا ما دفعنا لهذا الأمر ونحن نحاول الكشف عن ظاهرةٍ تستحق البحث حسب تقديرنا ولعل القارئ الحصيف قد أثارت اهتمامه وهو يجد ما وجدناه من ظاهرة الخوف حسب ما تحاول هذه الدراسة أنْ تستكشف هذه الظاهرة التي اتسعت دائرتها في الشعر العراقي عامة وفي شعر الشاعر عبد الرزاق عبد الواحد خاصة, الذي امتد شعره لقرنين من الزمان . فكان شعره شاهد عصر أدبي امتد لأجيال شعرية عريضة هذا السبب الاول للإختار أما السبب الثاني: جودة شعره وغزارة انتاجه الشعري , أما السبب الثالث : فهو أنّ هذه الظاهرة تترشحُ في شعره واحتوتها دواوينه الشعرية منذ البدايات وبقيت حاضرةً وكانت باعثاً للشكل والمضمون لكثيرٍ من قصائده. وحاولت هذه الدراسة الإضاءة للخوف لغة واصطلاحاً وكانت اجرائية تقوم على تقسيمه الى أنواع الخوف الذي أستقرأته الدراسة فكان : الخوف السياسي أولا والخوف من الموت ثانياً ثم الخوف من الشيبِ والهرم ثالثاً والخوف من الحب وخيباتهِ رابعاً ,مشفوعةً بالنصوص الشعرية التي تمثّلتْ هذه الانواع الأربعة.

الكلمات المفتاحية: الخوف، الشعر، العراق، الشاعر، عبدالرزاق.

المقدمة:

لقد أدرك النقاد القدامى "أن عملية الابداع الشعري تتطلب توفر أنواع من الدواعي والحوافز التي تساعد الشاعر على النظم ، وتمنحه القدرة على التركيز الذي يعرف على أنه حصر انتباه الشاعر بطريقة تجعله مطلعا على كافة التطورات" (بكار، د.ت.، صفحة ٦٣)، والمفاهيم التي تتضمنها فكرته وبقدر تعلق الأمر بمصطلح (دواعي الشعر) فإن البحث في معناه المعجمي لا يخرج إلى ما نحن بصدد ترديده في الإشارة إلى (الباعث الشعري) أو(تجربة الشعر (أو (الخلق الفني)، إلى غير ذلك من المصطلحات التي ترد في هذا النطاق من الدرس . وعلى الرغم من اشتراك هذه المصطلحات – في منظورها العام – مع مفهوم (دواعي الشعر) فإن عودة إلى كتب المعاجم تزودنا بإشارات مبهمة حول هذا المفهوم من نحو "بعثه على الشيء : حمله على فعله" . أو "تبعث منّي الشعر" (منظور، د.ت.). أي انبعث , كأنه سال ويمكن للمتتبع أن يرى أن مفهوم (دواعي الشعر) أو (البواعث الشعرية) لم يبتعد عن فهم الشعراء والنقاد العرب القدامى ، وإذا كان قد عرف عن الشعراء في الجاهلية من أن لكل منهم شيطانا يقول الشعر على لسانه ، فإن الأمر أقدم من ذلك، إذ عرف عند اليونان ما سمي بـ(ربات الشعر) ، فالشاعر – كما يقول افلاطون - كائن أثيري مقدس ذو جناحين ، لا يمكن أن يبتكر قبل أن يلهم ، ويفقد في هذا الالهام احساسه وعقله . وإذا لم يصل إلى هذه الحالة فانه يظل غير قادر على نظم الشعر أو استجلاء الغيب. وما دام الشعراء والمنشدون لا ينظمون أو ينشدون القصائد الكثيرة الجميلة عن فن ، ولكن عن موهبة الهية ؛ لذلك لا يستطيع أحد منهم أن يتقن إلا ما تلهمه إياه ربة الشعر ... وعند مجيء الاسلام - وتحديدا في بداية القرن الثاني الهجري -تغيرت نظرة العرب إلى الشعر ، إذ أصبح مصدر الابداع مرتبطا بالذات المبدعة ، وهذا الأمر يمكن أن نستشفه من أقوال بعض الشعراء التي تناقلتها كتب الأدب العربي فالحطيئة (ت ٤٥هـ)، عندما سئل عن أشعر الناس، قوله: "هذا إذا طمع ((وهو يشير إلى لسانه . وحين سئل أرطأة بن سهية (بعد ٦٠ هـ) عما إذا كان يقول الشعر ، أجاب" : كيف أقول وأنا ما أشرب

ISSN NO: 2770-8608
Date of Publication: 20-02-2023

ولا أطرب ولا أغضب ، وإنما يكون الشعر بواحدة من .أما الفرزدق (ت١١٠هـ) فكان يمر بأوقات يكون فيها نزع ضرسه , (هذه)) .أسهل عليه من قول بيت شعر وهكذا ، لم يكتف القدماء بنسبة الإبداع الفني إلى الشياطين أو الآلهة ، بل أدركوا صعوبة فهم هذه العملية المعقدة ، فقد "أدرك القدماء ، شعراء ونقادا ، أن الشعر ليس هينا، حتى على الشعراء أنفسهم ، وليس ساذجا بسيطا كما يظن .وهذا الإدراك ما زال حاضرا في نظرة المعاصرين إلى قضية إنتاج" الشعر ، ونظمه ، وإبداعه ، إذ رسخ في أذهانهم . إن الشعر كلّه معقد ، وتعقيده على درجات ، أما القصيدة فمثل الإنسان ، لها شجرة نسب ، وهي مهمة، لا بسبب أسلافها ، بل بسبب انفرادها . والقصيدة ليست أكثر من محاولة تبلور مثالي لتجربة ما ، تمثل من حيث (الكيف) حياة مضنية شاقة , وتتطلب من حيث (الكم) سنوات .ويرى بعضهم أن عملية الخلق الفني هي (من التفكير، والاستعداد ، والمران) .ستظل إلى الأبد تروغ عن حيز الفهم الإنساني .

وقد أدرك النقاد والشعراء في أدبنا العربي القديم كذلك ضرورة توفر أنواع من الدواعي والحوافز التي تمكن الشعراء من "استدعاءالشعر ، فتشحذ القرائح، وتنبه الخواطر ، وتلين عريكة الكلام وتسهل طرقة المعنى ، كلّ امرئ على تركيب طبعه، واطراد عادته" وقد نقرأ إدراك القدماء لهذه الدواعي في قولهم : "كان أمرؤ القيس أشعرالناس إذا ركب ، والنابغة إذا رهب ، وزهير إذا رغب ،والأعشى إذا طرب ويمكن أن تتحدد الدواعي الشعرية في ثلاثة أنواع : فمنها ما هو شخصي ، أي يدور على تجارب الشاعر الخاصة في الحب، أو الحزن ، أو الزهو ، وما إلى ذلك من أحواله . ومنها ما هو كوني، أي ما يحرك نفس الشاعر حين يقف متأملا في الكون ومصير الإنسان . ومنها ما هو بيئي ناشئ عن بيئة الشاعر وأحوال مجتمعه . تلك هي دواعي الشعر وحوافزه في الادب العربي القديم" ومن ذلك يمكن أن نرى ثبوت النوع الأول ، إذ أن الباعث الشخصي هو نفسه الآن كما كان قديما ، وقلما نجد فيه اختلافا باختلاف الأزمنة والبيئات ، فالعواطف الإنسانية في الشرق هي ذاتها في الغرب، وهي في العصر الحاضر كما كانت في أقدم العصور أذ أن مصدرها واحد يتمثل في الفطرة الإنسانية . أما الباعثان الكوني ، والبيئي ، فمتغيران لأن مرجعهما هو الفكر الإنساني الذي يتطور تبعا إلى تأثره بالكون وأحوال البيئة التي يعيش فيها . وأما الباعث الأساس للنظم فله صلة بوعي الشاعر بمهمته وإدراكه للدور الذي يلعبه الشعر في حياة الجماعة . وكما يعجز الشاعر عن كتابة شعر أصيل دون باعث ذاتي ودون وعي بجدوى الشعر في حياته وحياة من حوله ، كذلك الجماعة تعجز عن الإفادة من الشعر إذا لم تدرك جدواه في حياتها . وبعبارة أدق يمكن أن نحدد لدواعي الشعر رافدين على درجة كبيرة من الأهمية، أولهما : ما يتعلق بالشاعر نفسه ، إذ تختلف هذه الدواعي باختلاف التجارب المتنوعة للشاعر . فقد تكون التجربة تجربة موضوعية منفتحة على الإنسانية وقد تكون تجربة ذاتية ، والشعراء مختلفون في ذلك . فبعضهم يجيد فيما يلحظ ويتخيل، تعينه على ذلك ذاكرة قوية ، وخيال خلاق ، وبعضهم لا يجيد الاّ في وصف ما عاناه بنفسه . والامر الآخر في هذا الجانب هو اتساع تجارب الشاعر مما يعينه على خلق تجارب جديدة فكلما ازدادت تجاربنا في الحياة اتساعا وعمقا ازددنا قدرة على تشكيل تجارب جديدة تنطوي على فائدة لنا ومن حولنا . والمهم أن نؤمن بما نقول ، ومن المؤكد أن الشاعر لا يستطيع أن يؤثر في غيره ما لم يتأثر هو نفسه بموضوعه .ولكن من الشعراء من يستجيب إلى مناسبات الحياة المثيرة في جوانبها المختلفة، من حب وفرح وحزن وفجيعة ويأس ورضا وإعجاب ، وكما يفترقون في بواعث الشعر كذلك يفترقون في التعبير عما أثارت تلك البواعث بحسب أمزجتهم، وأحاسيسهم ، وثقافتهم، وقوة الأسباب المثيرة ، وغير ذلك مما يتصل بشخصياتهم.

يُقالُ أنَّ الأدبَ عامةً والشعرخصوصاً ابنُ بيئته.. لِذا نقول "أنَّ عوامل تضافرتْ في تكوين شعراءِ الحداثة وتجلى ذلك عند الرواد منهم كما يذكر ذلك بعض النقاد بمجموعة من السِّمات الاجتماعيَّة والحضاريَّة والفَنِّيَّة والفِكريَّة التي ميَّزَت هذا الجيل عن ذاك" (ثامر، د.ت.، صفحة 452) .

تَرى هذه الدِّراسة أنَّ عبد الرزاق عبد الواحِد يُعُدُّ من الرَّعيل الأوَّل من شعراءالحداثة في العراق فنِّيا وتاريخياً , كما ذهبَ عبد الواحِد لؤلؤة إلى ذلك بقَولِه: "شهِدَ ت حقَبة الخَمسينات فَورة في كِتابة الشِّعر في عَدَدٍ من الأقطار العربيَّة, كان نَصيب العراق منها أكثرمن غيره. بدأ ت تَلمع أسماء: بلند الحَيدَري, البياتي إضافة إلى نازك وعبد الرزاق عبد الواحد وهم الرَّعيل الأوَّل من شعراء الحداثة في العِراق, وربَّما في الأقطار العربيَّة كما يرى بعض الباحِثين" (لؤلؤة، 1385، صفحة 103). ويَرى الباحِثُ "أيضا أنَّ ثَمّةَ مَعايير للإنتِماء إلى نَشاطٍ أو حَرَكة, فلا أهمَّ من المكان والزَّمان والفِعل, وعبد الر زاق كان من حركة الرِّيادة في قلب المكان, وضحى التجربة, وفي لجَّةِ الفِعل الإبداعي, ثمَّ واصَلَ تَجربتَه ولقَد بلغَ تلك النقطة من الإحتِدام العاطِفي والرؤيَوي التي يحقق عندها الشِّعر المهِم" (الواحد، الأعمال الشعرية، د.ت.). كما أشارَ جبرا ابراهيم جبرا .

إنّ هذه العوامل السياسية والاجتماعية والفكرية والفنية تمثّلها شعر عبد الرزاق عبد الواحد لِقرنين من الزمان هي وثيقة أدبية مهمة لفهم الشعر العربي عامةً والشعر العراقي خاصة وترى هذه الدراسة أنَّ الخوف كان اللون النفسي الذي كان يتحكّم في تضاعيف شعره مما دعانا لدراسة هذه الظاهرة دراسة أدبيةً يمكن أنْ تشمل الشعر العربي الحديث برمتهِ. ولأنَّ الخوف لون من ألوان المشاعر الإنسانية التي تظهر وتختفي حسب تلك العوامل التي ذكرناها آنفا فهي قد بقيتْ ملازمة لحياة الشاعر عبد الرزاق عبد الواحد وشكّلت ظاهرةً تلفت نظر القارئ, ولقد جاءت هذه الدراسة محاولة استكناه هذه الظاهرة وتشخيصها .

الإحساس بالخوف من المشاعر والأحاسيس التي صورها الشاعر العربي القديم . وقد تنوع هذا الإحساس باختلاف الظروف التي يمر بها الناس، واختلفت من شاعر إلى آخر باختلاف دواعي الخوف وبواعثه.

ولعلَّ الشاعر العربي القديم أدرك أنّ في الشعر ملاذاً لهُ وأماناً يكتسبهُ وأوضحُ ذلك قول النابغة الذبياني وهو يصور لنا الخوف الذي حلَّ بهِ خشية النعمان بن المنذر, والشاعر العربي في صحرائه المفتوحة يشعر بالحرية التي تمتد مدّ بصرهِ الا إذا أحسّب الخوف فإنما تضيقُ عليه الأرض بما رحُبتْ :

وإنكَ كالليلِ الذي هو مدركي وإنْ خلْتُ أنْ المنتأى عنكَ واسعُ

ولعلَّ اعتذرياتهُ تكشف للدارسِ هذا الخوف. ولعل شاعرنا أيضا عبد الرزاق عبد الواحد قد قضى شطرَ حياته خائفاً .. كما سيتبينُ لنا في هذه الدراسةِ حاولنا الكشف فيهاعن هذا الخوف الدائم في تضاعيفِ شعرهِ والفاظهِ, بلْ العنواناتِ التي وضعها لقصائدهِ .

ولعلنا لانجانبُ الصوابَ إذا رأينا أنَّ اقترابَهُ من السلطة مبعثهُ الخوف بحثاً عن الامنِ والأمان الشخصي والسياسي وبقية الوانَ الخوف التي قامت عليها هذه الدراسة.

ISSN NO: 2770-8608
Date of Publication: 20-02-2023

جاء معنى الخوف في معاجم اللغةِ العربيةِ: "الخوف هو الفزعُ, خافهُ يخافهُ خوفاً وخيفةً ومخافةً إذا جعلَ فيه الخوف وخوّفتُهُ إذا جعلتُ يخافُ الناسَ.وكذلك خوّفَ الرجلَ جعل الناسَ يخافونهُ, وفي التنزيل: (إنّما ذلكم الشيطانُ يُخوّفُ أولياءهُ) أي يجعلكم تخافونَ أولياءهُ, وقال ثعلبُ : معناه يُخوّفكم بأوليائهِ ، قال وأراه تسهيلاً للمعنى الأول" .

والخوفُ : "القتلُ والخوفُ القتالُ ,وبهِ فسّر اللحياني قولهُ تعالى: ((ولَنَبْلوَنّكم بشيءٍ مِنَ الخوفِ والجوعِ)) وقولَهُ تعالى : ((وإذا جاءهم أمرٌ من الأمنِ أو الخوفِ أذاعوا بهِ)) أي القتل. ويُرادُ به العلم, وبهِ فسّر اللحياني قولهُ تعالى: ((فَمَنْ خافَ مِن موصٍ أو إثماً)) وقولهُ تعالى : ((وَإنِ امرأةٌ خافتْ منْ بعلها نشوزاً أو إعراضا))، والتخوّف: التنقّصُ وفي التنزيل: ((أو يأخذكم على تَخوّفٍ))" (منظور، د.ت.، صفحة 1290)، ووقف الراغبُ الأصفهاني في تعريفهِ للخوفِ على سببهِ، فقال : "الخوفُ هو توقّعُ مكروهٍ عن إمارة مظنونةٍ أو معلومةٍ" (الاصفهاني، 1961، صفحة 161) أما الأمام أبو حامد الغزالي فقد وقف في الإحياءِ عند تعريف الخوفِ مِن جهةِ أسبابهِ أو آثاره فقال: "الخوفُ عبارةٌ عن تألّمِ القلبِ واحترتقهِ بسبب توقّعِ مكروهٍ في الاستقبال " (الغزالي، 1998، صفحة 190) فالجزءُ الأولُ من التعريفِ "(تألّم القلب واحتراقهِ) يقفُ على الأثر، والجزءُ الثّاني توقّعُ مكروه" يقفُ على السبب.

أما علماء النفس المحدثون فقد اختلف تعريفهم للخوف , فمنهم مَن ركّز على كون الخوف حالة انفعالية فطرية, كعبد العزيز القوصي الذي يعرّف الخوف بأنهُ "حالة انفعالية داخلية طبيعية يشعر بها الفرد في بعض المواقف , ويسلك فيها سلوكاً به الابتعاد عن مصدر الضرر.." (القوصي، د.ت.، صفحة 329)فقد جعل الخوف حالة فطرية طبيعية تظهر على الفرد الخائف أمام احساسهِ بالخطر المهدد لهُ ' فينعكس ذلك على سلوكهِ الذي يحاول به الابتعاد عن مصدر الخطر.

ووقف فريق آخر مؤكدا على المؤثرات الخارجية للخوف فيعرف ابراهيم وجيه محمود الخوف بانه : "بأنه ينشأ نتيجة لِمؤثرات خارجية معينة فليس عند الكائن الحي دوافع فطرية تدفعه للخوف.." (محمود، 1980، صفحة 50). فنلاحظ على هذا التعريف أنه يستبعد وطبيعته الإنسانية داخل كل فرد مُخالفاً بذلك القوصي الذي قال بفطرية الخوف دون اكتسابه من البيئة الخارجية .

وبقدر تعلق الأمر بمصطلح (دواعي الشعر) فإن البحث في معناه المعجمي لا يخرج إلى ما نحن بصدد ترديده في الإشارة إلى "(الباعث الشعري) أو(تجربة الشعر) أو (الخلق الفني)، إلى غير ذلك من المصطلحات التي ترد في هذا النطاق من الدرس" . وعلى الرغم من اشتراك هذه المصطلحات – في منظورها العام – مع مفهوم(دواعي الشعر) فإن عودة إلى كتب المعاجم تزودنا بإشارات مبهمة حول هذا المفهوم من نحو بعثه على الشيء : حمله على فعله أو "تبعث مّني الشعر: (أي انبعث , كأنه سال)" (بكار، د.ت.، صفحة 63) ويمكن للمتتبع أن يرى أن مفهوم (دواعي الشعر) أو (البواعث الشعرية) لم يبتعد عن فهم الشعراء والنقاد العرب القدامى ، وإذا كان قد عرف عن الشعراء في الجاهلية من أن لكل منهم شيطانا يقول الشعر على لسانه ، فإن الأمر أقدم من ذلك، إذ عرف عند اليونان ما سمي بـ(ربات الشعر) ، فالشاعر – كما يقول افلاطون – "كائن أثيري مقدس ذو جناحين ، لا يمكن أن يبتكر قبل أن يلهم ، ويفقد في هذا الالهام احساسه وعقله . وإذا لم يصل إلى هذه الحالة فانه يظل غير قادر على نظم الشعر أو استجلاء الغيب. وما دام الشعراء والمنشدون لا ينظمون أو ينشدون القصائد الكثيرة الجميلة عن فن ، ولكن عن موهبة الهية ؛ لذلك لا يستطيع أحد منهم . (أن يتقن إلا ما تلهمه إياه ربة الشعر...)" (منظور، د.ت.) وعند مجيء الاسلام - وتحديدا في بداية القرن الثاني الهجري -تغيرت نظرة العرب إلى الشعر ، إذ أصبح مصدر الابداع مرتبطا بالذات المبدعة وقد أدرك النقاد والشعراء في أدبنا العربي القديم كذلك ضرورة توفر أنواع من الدواعي والحوافز التي تمكن الشعراء من استدعاء "الشعر ، فتشحذ القرائح، وتنبه الخواطر ، وتلين عريكة الكلام وتسهل طرقة المعنى ، كلّ امرئ على تركيب طبعه، .(واطراد عادته)" (افلاطون، د.ت.، صفحة ٥٢٤) وقد نقرأ إدراك القدماء لهذه الدواعي في قولهم : "كان أمرؤ القيس أشعر. الناس إذا ركب ، والنابغة إذا رهب ، وزهير إذا رغب ،والأعشى إذا طرب" (الجاحظ، د.ت.، صفحة ٢٨).

ويمكن أن تتحدد الدواعي الشعرية في ثلاثة أنواع : فمنها ما هو شخصي ، أي يدور على تجارب الشاعر الخاصة في الحب ، أو الحزن ، أو الزهو ، وما إلى ذلك من أحواله . ومنها ما هو كوني، أي ما يحرك نفس الشاعر حين يقف متأملا في الكون ومصير الإنسان . ومنها ما هو بيئي ناشئ عن بيئة الشاعر وأحوال مجتمعه..

إنّ الخوف احدُ دواعي الشعر أو بواعثه والإحساس بالخوف من المشاعر والأحاسيس التي صورها الشاعر العربي القديم . وقد تنوع هذا الإحساس باختلاف الظروف التي يمر بها الناس، واختلف من شاعر إلى آخر باختلاف دواعي الخوف وبواعثه . و المخاوف التي رسمها الشعراء متعددة منها ، الخوف من الله وعقابه ،و الخوف من أولي الأمر و الخوف من الفقر والخوف على الأبناء والبنات ، الخوف من الموت.

وجدتْ هذه الدراسةُ أنّ الخوف في شعرِ عبد الرزاق عبد الواحدِ الى نوعين من الخوف:

1. الخوف الجَليّ هو الذي يظهرُ في دلالة الألفاظ في العنوانِ أو ثنايا القصيدة.
2. الخوف الخفيّ : يظهر في دلالة النص ويمكنُ تقسيم النوعين الى :

أ. الخوف السياسي.
ب. الخوف من الموت.
ج. الخوف من الشيب والهرم.
د. الخوف من الحب وخيباته.
هـ. الخوف السياسي.

قال لي عبد الرزاق عبد الواحد:كنتُ أكتبُ قصيدةً وأنا افترشُ سجادةً على الارض و كانت مبردةً قُبالتي في الصالة:

"إني رأيتُ جَسَداً لارأسَ لهُ..
يدورُ في الشوارعْ...
رأيتُ أنّهُ إذا التقى بالرأسِ إنها القيامةْ.."

ISSN NO: 2770-8608
Date of Publication: 20-02-2023

قال عندما انتهيت من هذا المقطع رأيتُ " المبرّدة" انقلبت رأساً عظيماً فقمتُ فَزَعاً هارباً صاعداً الدرجَ الى غرفتي أصرخُ مِن الخوفِ لَحِقتني زوجتي عندما سمعتْ صرختي ..فحُمَّ جسَدي ثلاثة أيام وأنا في الفراش..(XXX, 1994) .

يلحظُ الدارس أنَّ حياة عبد الرزاق عبد الواحد مَليئةٌ بألوان الخوف التي ذكرناها آنفا فهو يقولُ في قصيدة لهُ أنَّ خوفَهُ قديمٌ :

يامصرُ ياسطوةَ المجهولِ في قلقي
وبعضُ مجهولِ خوفي بالغُ القِدَم (الواحد، د.ت.، صفحة 242).

ومنها هذا الخوفُ القديمُ الذي ظلَّ يلازمهُ :

ياما ركضتُ
يطاردني الَخوفُ
كلُّ المحطاتُ تمضي لِدفءِ منزلِها
وأنا ..
أتعثَّرُ بينَ المحطاتِ
يركضُ خلفي سؤالُ المخافرِ
مَنْ أنت..؟ (عبدالواحد، 1994، الصفحات 1-12)

إنّ هذا التعثر في محطات الخوف في حياته كانت من بدايات حياته, واللافت للنظر أنها استمرّت الى أخريات حياته التي امتدتْ في قرنين من الزمان.

ومثلها قصيدةُ "مصادرة منشور سري" (الواحد، د.ت.، صفحة 175), وقصيدة "مقاضاة رجل أضاع ذكرته" (الواحد، د.ت.، صفحة 293),.ولعلَّ قصيدة (سلامٌ على بغداد) ونحن نورد النص يوضح رحلته التي تختصر حياته وحياة المدينة التي شاخت مثلما شاخ هو من الاسى والخوف.. فهو يقول:

كبيرٌ على بغداد أنّي أعافُها وأني على أمني لديها أخافُها
كبيرٌ عليها، بعدما شابَ مفرقي وجفَّتْ عروقُ القلبِ حتى شغافُها
تَتبَّعتُ للسَّبعين شطآنَ نهرِها وأمواجَهُ في الليلِ كيف ارتجافُها
وآخَيتُ فيها النَّخلَ طَلعاً، فَمُبسِراً إلى التمر، والأعذاقُ زاهٍ قطافُها
تَتبَّعتُ أولادي وهم يملأونها صغاراً إلى أن شَيَّبتهُم ضفافُها!
تتبَّعتُ أوجاعي، ومسرى قصائدي وأيامَ يُغني كلَّ نفسٍ كفافُها
وأيامَ أهلي يملأُ الغيثُ دارهَم حياءً، ويُرويهم حياءً جفافُها!
فلم أرَ في بغداد، مهما تلبَّدتْ مَواجعُها، عيناً يهونُ انذرافُها
ولم أرَ فيها فضلَ نفسٍ، وإن ذوَتْ ينازعُها في الضائقات انحرافُها
وكنّا إذا أخَنَتْ على الناس غُمّةٌ نقولُ بعون الله يأتي انكشافُها
ونغفو، وتغفو دورُنا مطمئنّةً وسائدُها طُهرٌ، وطهرٌ لحافُها
فماذا جرى للأرض حتى تبدَّلتْ بحيث استوَتْ وديانُها وشِعافُها
وماذا جرى للأرض حتى تلوَّثت إلى حدّ في الأرحام ضجَّتْ نطافُها
وماذا جرى للأرض.. كانت عزيزةً فهانتْ غواليها، ودانت طِرافُها
سلامٌ على بغداد.. شاخَتْ من الأسى شناشيلُها.. أبلامُها.. وقِفافُها
وشاخت شواطيها، وشاخت قبابُها وشاخت لفرط الهمّ حتى سُلافُها
فلا اكتُنِفَتْ بالخمر شطآنُ نهرِها ولا عاد في وسعِ النَّدامى اكتنافُها!
سلامٌ على بغداد.. لستُ بعاتبٍ عليها، وأنّى لي وروحي غلافُها
فلو نسمةٌ طافتْ عليها بغيرِ ما تُراحُ به، أدمى فؤادي طوافُها
وها أنا في السَّبعين أُزمِعُ عَوفَها كبيرٌ على بغداد أنّي أعافُها! (الواحد، كوكل).

وتضجُّ عنوانات قصائده الشعرية بألفاظ الخوف مثل "مزارع الخوف وقصيدة "أصابع الخوف", وقصيدة الخوف والرجال. وكذلك مسرحية الحر الرياحي" (الواحد، الاعمال الكاملة، د.ت.) .

2. الخوف من الموت:

يقول عبد الرزاق عبد الواحد :

إذا قرأتُ فصوتي وحدهُ قدري
وإنْ سكتُّ فصمتي وحدهُ أجَمي
ولا ألوذُ به خوفاً ولا تَرَفاً
لكنّني أُشهِدُ الدنيا على سأمي

منذُ كلكامشَ والانسانُ يبحثُ عن الخلود ولعلَّ صوتَ الشاعر هو الأعلى في التعبير والبحث عن الخلود والخوف من الموت, وهو هاجس انساني يشترك الشعراء به في كلِّ أوانٍ .

ونورد قصيدة (الزائر الأخير) للشاعر عبد الرزاق عبد الواحد قصيدة "الزائر الأخير (الواحد، الاعمال الكاملة، د.ت.، صفحة 52) (الموت)" القصيدة التي فازت بميدالية (القصيدة الذهبية) في مهرجان ستروكا الشعري العالمي في يوغسلافيا 1986. وذلك يوكد ماذهبنا اليه أنهُ يعيش هذا الهاجسَ الذي تشكّل فنياً ونفسياً في مسيرتهِ الشعرية التي درج عليها الى نهاية رحلته في الحياة. يقول عبد عبد الرزاق عبد الواحد في قصيدة الزائر الأخير:

ISSN NO: 2770-8608
Date of Publication: 20-02-2023

من دون ميعادِ
من دون ان تُقْلِقَ اولادي
اطرقْ عليَّ الباب
وحينما تُبْصِرُني مُغرورقَ العينينْ
خُذْ من يديْ الكتابْ
أعِدْهُ لوتسمحُ دونَ ضجَّةٍ للرفِّ حيثُ كان اكون في مكتبي
في معظم الاحيانْ
اجلسْ كأيِّ زائرٍ
وسوفَ لاأَسألُ
لا ماذا ولا مِنْ أينْ
وعندما تخرجُ لاتوقظْ ببيتي احدا
لان من افجع ماتُبْصِرُهُ العيونْ
وجوهَ اولاديَ حينَ يعلمونْ...

ونراه في قصائد أخرى يُعلن هروبه من هذه الحقيقة الكبرى(الموت) كما في قصيدته (هارب من متحف الآثار) وهو يرى أثر الزمن الذي أحال كل شيء الى موت وكان الحجر عصياً عليه وهو الذي اختارته الحضارات وكان سجل آثارها التي احتفظت صلابته بلك الآثار ومن المفارقة أنْ يموت الصانع ويبقى المصنوع :

"بهيبة خمسة آلافِ عامٍ تُرا بِيّ ازحزحت قدماه..
على سلَّم المتحف
ارتدَّ منصعقاً
جسَّ عينيه
كفَّيه
صو ته
فعاو د ألفتها
زال بعض غموض المسائل من حوله
اصطك رعباً
تذكر أذنيه ..أنفاسه ..قلبه
ذلك الصوت
أدرك في قلق أنه يخرج الآن من صمته المرمري
إلى ضجَّة اللحمِ والدَّ م
يفقد صمته" (الواحد، الأعمال الشعرية، د.ت.، صفحة 187)

إن الشاعر يفلسف هواجسه عن فكرة تتحرك بعد انطباعه الأول, ذلك أنه رأى بأم عينَيه حقيقة كبرى ربما أحسَّ بها للمرة الأولى متجَسِّدة أمامه. تلك هي أن الصامت أو الساكن أبقى من المتحَرّك, فلقد رأى خَسة آلاف عام صامتة في بعض آثار مرمرية صنعها الإنسان يوما ما, ربما كان الشاعر بعض سلالته, فمَضَى الصانع واندَ ثرَ وبقيَ المصنوع, أليسَت مُفا رَقة, يحق للشاعر أ ن يصطك رعباً منها ؟ و لِشِد ة خَو فِه بدأ يتَحَسَّسُ أعضاءه وأنفاسه لأنَّه أد رَكَ أ ن الموتَ يُلاحقه, وأن عامل الزمن يطارده ولا بدَّ أ ن يناله :

"تذكر أشياءه
العري
والموت
ألقى على كتفيه عريه السَّر مدِي
تأبَط موته "

لقد هرب الشاعر, لعله لا يريد الانتماء إلى هذه الحقيقة التي هو جزء منها, وأ نَّه سيفنَى ويبقى متحف الآثار يحكي هذه الحقيقة. ولكي ينسى فهو يذهب إلى (ضجَّة اللَّحم والدَّم) أو الحياة, وربما تذكر:

"انصبَّ في الشارع
استيقظت كل أعمدة الـ نّور
دارت مصاريع كلّ النَّوافذ
سالت عيوناً
تخطىَ"

إنَّ الحياة لن تتو قَّف, حتى وإن علمَ الناس هذه الحقيقة, ولقد ألقى الشاعر (عريه السَّرمَدي) على كتفه وسار, ولن يحميه أحد من عامل الزمن. وهو الموت.

3. الخوف من الشيب والهرم:

هو اللون الثالث من ألوان الخوف لدى الشاعر عبد الرزاق عبد الواحد وقلما يخلو شعر شاعر من هذا الهاجس فهو ضعف يُصيب البشر جميعاً بعد قوة, والشعراء يتقدمون الناس في رهافة الحسّ والتعبير عنه, والشاعر عبد الرزاق عبد الواحد أحدهم, ينصبُ خيمته الشعرية ويُسميها(خيمة على مشارف الأربعين) ثم الخيمة الثانية, ويسميها أيضا (الخيمة الثانية)وفيها أكثر من دلالة منها دلالة الخوف من الهرم:

ISSN NO: 2770-8608
Date of Publication: 20-02-2023

مضى ما مضى منكَ خيرٌ وشرّ وظلَّ الذي ظلَّ طيَّ القدَرْ
وانتَ على كلِّ مايزدهيكَ كثيرُ التشكّي كثيرُ الضجرْ
كأنكَ في خيمةَ الأربعين تُخلِّعُ أوتادها للسَفرْ (الواحد، الأعمال الشعرية، د.ت.، صفحة 209)

وحين يكبرُ أولاده ويملأون البيت ويملأ الشيبُ رأسهُ يأتي الى بيتهِ ثم يصوّر لنا رحيل الأولادِ وبقاءه وحيداً يملأ الاسى نفسه كما في قصيدة (لاتطرقِ الباب) (الواحد، الأعمال الشعرية، د.ت.، صفحة 165):

لا تطرق الباب .. تدري أنهم رحلوا خذ المفاتيح وافتح أيها الرجلُ
أدري ستذهب .. تستقصي نوافذهم كما دأبت .. وتسعى حيثما دخلوا
تراقب الزاد .. هل ناموا وما أكلوا وتطفئ النور لو .. لو مرَّة فعلوا
وفيك ألف ابتهال لو نسوه لكي بهم عيونك قبل النوم تكتحلُ
لا تطرق الباب .. كانوا حين تطرقها لا ينزلون إليها .. كنت تنفعلُ
ويضحكون .. وقد تقسوا فتشتمهم وأنت في السرّ مشبوب الهوى جذلُ.

هو يشكو أن أولاده قد ألهتم الحياة عنه وانشغلوا واستغنوا عن رعايته وبون بعيد بين مشاعر الأبوة الدائم ومشاعر البنوة حين يكبرون ويكبر الأبُ ويعود يحتاجهم كلهفته لهم لكنهم كما يصفهم أهملوا كل شيء وغابوا:

حتى إذا فتحوها, والتقيت بهم كادت دموعك من فرط الحب تنهملُ
لا تطرق الباب .. من يومين تطرقهما لكنهم يا غزير الشيب ما نزلوا !
ستبصر الغرف البكماء مطفأة أضواؤها .. وبقاياهم بها هملُ
قمصانهم كتب في الرف .. أشرطة على الأسرة عافوها وما سألوا

4.الخوف من الحبّ وخيباته:

تجاربُ الحبِّ هي رصيدُ الشعراء عامةً في مخزونهم الشعري في العصور الأدبية كافة ومنها العصر الحديث لدى شعراء الحداثة, ولعلّه من البواعث الحقيقية في الهام الكثير منهم وثمة مَن قصر شعره عليه .ورغم تعدد أغراض الشاعر عبد الرزاق عبد الواحد الاّ أنَّ تجارب الحبّ والخوف من الخيبات التي هي هاجس أغلب الشعراء ومنهم الشاعرعبد الرزاق نراها في الكثير من شعره ومنها قصيدة (وجعٌ متأخر):

"هوّنْ عليكْ
تدري أنّك ما جرحت العمر
إلا من يديكْ
ما أول الخيبات هذي
رغم موقعها لديكْ
هي خيبةٌ أخرى
وأخرى في الطريقِ غدًا إليكْ
يا أنتَ..
مَن يدري متى الأيام تُطفئ مقلتيكْ
هوّنْ عليكْ.." (الواحد، الأعمال الشعرية، د.ت.، صفحة 103)

تكثُر لدى الشاعر هذه الخيباتُ في قصائده والتفاصيل والمواقف تختلف ولكنها تجتمع في نكوص الشاعر وانطوائهِ ليكتب هذه الخيبةَ شعراً كما في قصيدة(في معرض الرسم):

حين صافحتها
نبض الماء في راحتي
قل أن ينبض الماء في وقتنا
مقلتي تتسلَّق
اسمع نظرتها وهي تهبطُ
قاطعتها
أورق الماءُ في لحظة
سحبت يدها.. (الواحد، الأعمال الشعرية، د.ت.، صفحة 38)

الخاتمة:

أنَّ بواعث القول لدى الشعراء في الشعر العربي الحديث , والخوف منها خاصة لهُ ثمارُهُ التي تلبّست الشاعر ومنهم الشاعر عبد الرزاق عبد الواحد رأيناها توزّعت في تضاعيف شعره وفي الفاظ عنوانات قصائده بمثابة العتبة التي نستكشف الدلالات التي تختزنها تجربته الشعرية وكانت عاملاً خلّاقاً في العمل الفني للقصيدة ومضمونها .ولقد تعدد ألوان الخوف كما رأينا في هذه الدراسة, ولعلها تكون البداية لدراسات قادمة يستجلي بها الباحثون تجارب شعراء آخرين لدلالات أعمق وأدق . ومن الله التوفيق والسداد.

1. المراجع

2. XXX. (1994). لقاء الباحث مع الشاعر في داره ببغداد .
3. ابراهيم وجيه محمود. (1980). *مدخل الى علم النفس*. القاهرة: دار المعارف.
4. ابن منظور. (د.ت.). *لسان العرب*. (عبدالله علي الكبير وزميليه، المحرر) القاهرة: دار المعارف.
5. افلاطون. (د.ت.). *آيون ، أو عن الالياذة*.
6. الجاحظ. (د.ت.). *البيان والتبيين*.

ISSN NO: 2770-8608
Date of Publication: 20-02-2023

7. الراغب الاصفهاني. (1961). *المفردات في غريب القران*. (محمد سيد كيلاني، المحرر) القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.
8. الغزالي. (1998). *إحياء علوم الدين ، بهامشهِ تخريج الامام الحافظ العراقي*. القاهرة: مكتبة مصر للطباعة.
9. عبد الرزاق عبد الواحد. (د.ت.). *الأعمال الشعرية* (المجلد 1+2).
10. عبد الرزاق عبد الواحد. (د.ت.). *الاعمال الكاملة* (المجلد 1).
11. عبد الرزاق عبد الواحد. (بلا تاريخ). *كوكل*. تم الاسترداد من موقع الشاعر عبد الرزاق عبد الواحد .
12. عبد الزاق عبدالواحد. (1994). *قصيدة هو الذي رأى*. بغداد: د,ن.
13. عبد العزيز القوصي. (د.ت.). *اسس الصحة النفسية*. القاهرة: النهضة المصرية.
14. عبد الواحد لؤلؤة. (1385). *حولَ الإشكالية الشِّعريَّة الجَديدة*. مربد: مهرجان المربد الشعري السادس.
15. فاضل ثامر. (د.ت.). *مدارات نَقدية*.
16. يوسف حسين بكار. (د.ت.). *بناء القصيدة في النقد العربي القديم*.

The reviewer

1. XXX. (1994). The researcher's meeting with the poet in his house in Baghdad.
2. Ibrahim Wajih Mahmoud. (1980). Introduction to psychology. Cairo: Dar al-Maarif.
3. Ibn Manzoor. (D.T.). Arabes Tong. (Abdullah Ali Al-Kabeer and his colleagues, editor) Cairo: Dar Al-Maarif.
4. Plato. (D.T.). Ion, or About the Iliad.
5. Al-Jahiz. (D.T.). statement and clarification.
6. Ragheb Isfahani. (1961). Vocabulary in the strange Quran. (Muhammad Sayed Kilani, editor) Cairo: Mustafa Al-Babi Al-Halabi and Sons Press.
7. Al-Ghazali. (1998). Revival of Religious Sciences, with its margin, the graduation of Imam Al-Hafiz Al-Iraqi. Cairo: Misr Library for Printing.
8. Abdul Razzaq Abdul Wahid. (D.T.). Poetical Works (Volume 1+2.(
9. Abdul Razzaq Abdul Wahid. (D.T.). The Complete Works (Volume 1.(
10. Abdul Razzaq Abdul Wahid. (no date). Cockle. Retrieved from the site of the poet Abdul Razzaq Abdel Wahed.
11. Abdul Zag Abdul Wahid. (1994). A poem that he saw. Baghdad: d, n.
12. Abdulaziz Al-Qusi. (D.T.). The foundations of mental health. Cairo: The Egyptian Renaissance.
13. Abdel Wahed Lolo. (1385). On the new poetic problem. Mirbad: The sixth Mirbad Poetry Festival.
14. Fadel Thamer. (D.T.). monetary orbits.
15. Youssef Hussein Bakkar. (D.T.). Building the poem in ancient Arabic criticism.